



الأسس الدعوية في التعامل مع المدعو في كتاب "الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة" دراسة
تحليلية

DAWAH PRINCIPLES IN DEALING WITH THE INVITEE IN THE BOOK "AL-FURQAN FI TAFSIR AL-QUR'AN BIL-QUR'AN WA AL-SUNNAH: AN ANALYTICAL STUDY

Muhammad Askari

PhD Research Scholar,

Department of Usuloden, International Islamic University, Islamabad.

askari2274@gmail.com

Dr. Hidayat ur Rehman

Assistant Professor. Department of Usuluddin, International Islamic University, Islamabad.

Abstract

This study examines the foundational dawah principles governing engagement with the madū (the addressee of Islamic preaching) as articulated in Al-Furqān fī Tafsīr al-Qurān bil-Qurān wa Sunnah by Muhammad Sadeqi. Adopting a qualitative analytical methodology, the research investigates selected exegetical passages in order to extract, classify, and interpret the core methodological foundations that shape the author's approach to diverse categories of recipients, including believers, hypocrites (munāfiqūn), disbelievers (kuffār), and atheists. The study focuses on how the tafsīr derives its dawah orientations directly from the integrative reading of the Quran through the Quran and the Sunnah, emphasizing coherence between revelation, reason, and lived reality. It identifies a structured framework built upon principles such as wisdom persuasive exhortation, rational demonstration, ethical dialogue, gradual reform, and sensitivity to the intellectual and psychological conditions of the addressee. The analysis further reveals differentiated communicative strategies: strengthening spiritual consciousness among believers, unveiling internal inconsistencies in hypocritical discourse, employing rational and evidentiary argumentation with disbelievers and atheists, and grounding engagement in shared human and moral values. The research concludes that Al-Furqān presents a systematic and context-aware dawah paradigm that combines textual fidelity with intellectual rigor. Its exegetical method offers an adaptable model capable of addressing contemporary ideological challenges while maintaining fidelity to the Qur'anic worldview, thereby contributing meaningfully to modern Islamic thought and interfaith engagement.

Keywords: Dawah foundations; Madū Quranic methodology; *Al-Furqān fī Tafsīr al-Qur'ān bil-Qur'ān wa al-Sunnah*; Muhammad Sadeqi; Analytical study; Islamic preaching; Interfaith dialogue.

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان الأسس الدعوية في التعامل مع المدعو عرضها في كتاب "الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة" للشيخ محمد صادق الطهراني، وذلك من خلال دراسة تحليلية تستقرئ نصوص التفسير وتستخرج منها القواعد المنهجية الحاكمة لخطاب الدعوة وأنماط التعامل مع فئات المدعويين المختلفة، كالمؤمنين، والمنافقين، والكافرين، والملحدين.

اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي النوعي، من خلال تتبع المواضيع التفسيرية ذات البعد الدعوي، وتصنيف مضامينها، وتحليل مرتكزاتها الفكرية والشرعية. وقد أظهرت النتائج أن التفسير يؤسس لرؤية دعوية متكاملة تنطلق من تفسير القرآن بالقرآن والسنة، مع مراعاة الانسجام بين النص والعقل والواقع. كما أبرزت الدراسة جملة من الأسس المركزية، منها: الحكمة، والموعظة الحسنة، والحجاج العقلي، والحوار الأخلاقي، والتدرج في الإصلاح، ومراعاة الخصائص الإيمانية والفكرية والنفسية للمدعو.

وبيّنت الدراسة كذلك أن الخطاب الدعوي في الفرقان يتسم بالتفريق المنهجي بين فئات المدعويين؛ فيعمل على ترسيخ الإيمان وتعميق الوعي لدى المؤمنين، وكشف التناقضات الفكرية والسلوكية لدى المنافقين، وتقديم البرهان العقلي والحجة القرآنية في مواجهة الكافرين والملحدين، مع التأكيد على البعد الإنساني والقيمي المشترك في الخطاب العام. وتخلص الدراسة إلى أن هذا التفسير يقدم نموذجاً دعويًا منضبطاً بالنص



الشرعي، ومتوازناً بين الأصالة والمعاصرة، وقادراً على التفاعل مع التحديات الفكرية الراهنة، مما يجعله إطاراً منهجياً مهماً في تجديد الخطاب الدعوي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: الأسس الدعوية؛ المدعو؛ المنهج القرآني؛ الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة؛ دراسة تحليلية؛ المدعو؛ الحوار الديني.
مقدمة:

تعد الدعوة الإسلامية من أهم القضايا العملية التي ركز عليها القرآن الكريم والسنة النبوية، فهي وسيلة لتحقيق الغاية الأساسية من إرسال الرسل وهي هداية البشرية إلى الحق وإرشادهم إلى منهج الله تعالى القويم. وقد أكد القرآن الكريم على ضرورة مراعاة أحوال المدعوين ومراعاة اختلاف درجات إيمانهم ومستوى فهمهم، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: 125)

وتشير هذه الآية الكريمة إلى أن الدعوة تحتاج إلى حكمة ورفق، مع مراعاة شخصية المدعو وظروفه النفسية والاجتماعية. وقد اهتم المفسرون الكبار، ومنهم الدكتور عبد الكريم الخطيب في تفسيره الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، بتوضيح الأساليب الدعوية المختلفة بحسب نوع المدعو: مسلم، منافق، كافر، أو ملحد.

ركزت بعض الدراسات على منهج الدعوة في القرآن الكريم، وبيّنت أهمية مراعاة اختلاف أحوال المدعو. مثلاً:
المسلم: يجب تنمية الإيمان وتقويته، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النور: 56) حيث يُظهر الفرقان ضرورة تعزيز الممارسات الدينية وتقوية الروابط الإيمانية للمسلمين.

المنافق: التركيز على كشف تناقضاته وتحذيره بلطف، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: 8) وبيّن التفسير كيفية التعامل مع المنافقين بعقلانية ومنهجية، مع التحذير من تأثيرهم السلبي على المجتمع.

الكافر والملحد: استخدام الأدلة العقلية والنقلية لإظهار بطلان الشرك والباطل، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: 50) وهنا يركز الفرقان على الحجج القرآنية والمنطقية لدعوة غير المؤمنين.

تناولت بعض الأبحاث دور الأخلاق والقيم الإنسانية في الدعوة، وأكدت أهمية التدرج في مخاطبة المدعو وفق حاله. وقد أشار في تفسير الفرقان إلى ضرورة التدرج في الدعوة، مستنداً إلى قوله تعالى: ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: 164) أي مراعاة المسؤولية الفردية لكل مدعو وعدم إجباره على ما لا يستطيع فهمه أو تقبله. وركزت على التطبيق العملي للدعوة في العصر الحديث، خصوصاً في التعامل مع المجموعات غير المسلمة والملحدة، بما في ذلك استخدام الحجج العقلية والمنطقية، والحوار الحضاري المبني على القيم المشتركة، وهو ما يتوافق مع منهج الفرقان في الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن.

التعريفات

أولاً: الأسس

الأسس جمعُ أساس، وهو ما يُبنى عليه غيره ويقوم به. واصطلاحاً: القواعد والمرتكزات الكلية التي تُشكّل الإطار النظري والعملي لمنهج معين، وتُحدّد منطلقاته وضوابطه ومعاييرها.

ثانياً: الدعوة في اللغة لها عدة معان:

فمنها النداء، والابتهال، وهي مشتقة من فعل: دعا، يدعو، الذي يتعدى بنفسه فيقال: دعا الله -تعالى-، ويتعدى بالباء فيقال: دعا به، ويتعدى باللام فيقال: دعا له، والاسم: الدعوة، والقائم بها يُسمى: داعٍ أو داعية، وهي تفيدهُ إمالةٌ شيءٍ ما إليك بصوتٍ أو كلامٍ يكونُ منك بحقٍّ أو باطلٍ¹. تطلق الدعوة في الاصطلاح على أمرين:

الأول: نشر وتبليغ الدين الإسلامي وتعاليمه، ومن تعريفاتها: الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به رسله؛ بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء

1 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، مادة (دعا)، ج2، ص1385



الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملانكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه² أو هي قيام من عنده أهلية النصيح والتوجيه السديد من المسلمين في كل زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام اعتقادًا ومنهجًا، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة³ والثاني: العلم الذي يهتم بنشر الدين وتبليغه للناس، وقد عرفت بتعاريف منها: العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنيّة المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق⁴ أو (هي فنُّ يبحث في الكيفيات المناسبة التي تجذب بها الآخرين إلى الإسلام، أو نحافظ على دينهم بواسطتها⁵ الدعوة إلى الله هي جمع الناس إلى الخير، ودلائلهم على الرشد، بأمرهم بالمعروف ونهيمهم عن المنكر، قال تعالى: ﴿والتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾ [آل عمران 103]6. يعني في اصطلاح الشرعي: تبليغ الإسلام للناس، وتعليمهم أحكامه، وترغيبهم في الإيمان والعمل الصالح، وفق منهج قائم على الحكمة والموعظة الحسنة والحجة البينة. ثالثًا: الأسس الدعوية يُقصد بها في هذه الدراسة: القواعد والمبادئ المنهجية المستنبطة من النصوص القرآنية وتفسيرها، والتي تضبط عملية مخاطبة المدعو، وتوجيه أساليب التأثير فيه، مع مراعاة حاله الإيماني والفكري والنفسي.

رابعًا: المدعو

هو الشخص أو الفئة التي يُوجّه إليها خطاب الدعوة، سواء كان مؤمنًا يُراد تثبيته، أو مسلمًا عاصيًا يُراد إصلاحه، أو منافقًا يُراد كشف انحرافه، أو كافرًا أو ملحدًا يُراد دعوته إلى الإيمان، يعني: أي إنسان كان، هو المدعو إلى الله تعالى: لأنَّ الإسلام رسالة الله الخالدة، بعث الله به محمدًا -صلى الله عليه وسلم- إلى الناس أجمعين⁷ سادسًا: تعريف كتاب "الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة" هو تفسيرٌ للقرآن الكريم ألفه الشيخ محمد صادق الطهراني -رحمه الله-، يقوم على منهج تفسير القرآن بالقرآن مع الاستناد إلى السنة، ويتميز بإبراز البعد الموضوعي والبرهاني في فهم النص القرآني، ومعالجة القضايا العقدية والفكرية بروح استدلالية تحليلية. التفسير "الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة" من أهم التفاسير المعاصرة عند الشيعة، ألف الشيخ محمد صادق -رحمه الله- هذا التفسير من خلال أربع عشرة سنة، باللغة العربية.

سعي باسم "الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة" لأن المفسر فسّر القرآن بالقرآن والسنة النبوية، كما قال الشيخ هادي معرفة⁸ وهو تفسير جامع شامل، اتخذ منهج تفسير القرآن بالقرآن حسب الإمكان وهو تحليلي تربوي اجتماعي، مع استناد إلى أحاديث يراها صحيحا⁹ وقد تم تأليفه خلال السنوات (١٣٩٧-١٤٠٧ هـ) وهو تفسير شامل لأبحاث من علوم القرآن، والفقه، والفلسفة، والجانب العلمي والتربوي. وأهتم الشيخ -رحمه الله- بتفسير الآية بالآية والسنة المتواترة، واجتهد الشيخ لإستنباط الأحكام مستقلا بمفاهيم الآيات بدون تعصب لمذهبه

2 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عامر الجزار وأنور الباز، ج15، ص157-158. وانظر أيضًا: ابن تيمية، دقائق التفسير، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ج3، ص284.

3 أبو المجد نوفل، الدعوة إلى الله: خصائصها ومقوماتها ومناهجها، ص18. وانظر: إبراهيم المطلق، التدرج في دعوة النبي، ص20.

4 أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية أصولها وضوابطها، مؤسسة الرسالة، القاهرة، 2005م، ص10.

5 عبد الله الشاذلي، الدعوة والإنسان، ص39.

6 السيد محمد الوكيل، أسس الدعوة وآداب الدعاء، دار الوفاء للطباعة والنشر، 2001م، ص9.

7 عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، ط9، 1421هـ/2001م، ص373.

8 انظر: محمد هادي معرفة، موقع إلكتروني.

9 محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في نوبة القشيب، جامعة الرضوية، مشهد - إيران، 1481هـ/1997م، ج2، ص1027



كما قاله "ونحن في هذا الفرقان لسنا لنفسر الآيات بالصبغة الذهبية الخاصة تحميلاً على القرآن ما لا يتحملة، إنما نستنبط من القرآن بصورة مجردة ما يعنيه، وافق مذهبنا أم خالفه في أي حقل من حقول المعرفة القرآنية".¹⁰ ويعتبر هذا التفسير من حيث الأسلوب و المحتوى أحد التفسيرات المعتبرة من المفسرين وكما قال الطباطبائي¹¹ صاحب تفسير "الميزان في تفسير القرآن" إن تفسير "الفرقان" الشريف الذي قرأته، إنه لكتاب يقَرّ عيوننا، وهو سند عزنا. نحن المفسرين إن شاء الله تعالى تكرس جميع وإمكاناتك و تبذل جميع مساعيك في مواصلة هذا الأسلوب الفريد من التفسير. أعني: تفسير القرآن بالقرآن.¹² اتخذ منهج القرآن بالقرآن، وهو تحليلي، تربوي، واجتماعي مع انقاده للحديث التي يراها تخدم و تفضل روح القرآن ولذا إحترز عن الإسرائيليات.

مراعاة طبائع المدعوين

الأول أن مقصود من مراعاة طبائع المدعوين هو أن يلاحظ أحوال المدعوين في الدعوة إلى الله تعالى، و ذلك لأن الناس يختلفون في طبائعهم وميولهم، و حسب قدرتهم ومدى قدراتهم النفسية والعقلية، وأن يوجّه الخطاب الدعوي بما يتناسب مع كل شخص وظرف، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأصل العظيم في قوله-تعالى-يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (سورة البقرة، الآية: 286) وهذه الآية تدل بوضوح على أن التكليف الإلهي قائم على مبدأ القدرة والطاقة، لا على المشقة والحرج. فالله عز وجل لا يحمل الإنسان فوق ما يطيق، وهذه القاعدة تشمل التكاليف الشرعية والدعوية والتربوية، وقد أشار الشيخ محمد الصادق-رحمه الله- إلى هذا المعنى في تفسيره، إذ قال ما معناه: "إن هذا الحكم الإلهي ليس استجابة لحالة خاصة، ولا هو تخفيف لاحق جاء بدعاء المؤمنين، بل هو ضابط ثابت في نظام التكليف، قائم على عدل الله وحكمته، ومراعٍ لقدرة العباد من الأصل، لا من باب الاستثناء"¹³ فمن تأمل هذا، علم أن الداعية إذا كان يقتدي بخُلُق الله وعدله، فعليه أن يُراعي طاقات الناس المختلفة، ومستوياتهم العقلية والاجتماعية، وأن لا يحملهم ما لا يطيقون، وأن يخاطب كل قوم بلسانهم وفهمهم وبيئتهم. ثم إن من أهم مقومات نجاح الدعوة الإسلامية وبلوغها أهدافها أن يعرف الداعية حالة المدعوين الإيمانية، ذلك لأن الناس ليسوا على درجة واحدة من الإيمان، ولا في مستوى واحد من الفهم والتلقي. فهناك المؤمن الملتزم، وهناك ضعيف الإيمان، وهناك الجاهل، وهناك الكافر أو المشرك. وهذا التنوع الإنساني يتطلب من الداعية أن يكون حكيماً في خطابه، مدرّكاً لاحتياجات المدعوين، ليختار لهم من الكلام والأسلوب ما يناسب حالهم، وهذا ما أشار إليه الدكتور عبد الكريم الخطيب في تفسيره المسمى التفسير القرآني للقرآن.

إن المدعوين إلى الحق يختلفون في حالهم الإيمانية و توجهاتهم الداخلية، فمنهم المؤمن الصادق و منهم المنافق، و منهم الكافر المنكر لله أو لرسالته، و لكل فئة منهم حال خاصة تحتاج إلى خطاب دعوي يناسب مستواها.

المدعو المسلم

أن المدعو المسلم هو المستجيب لدعوة الانبياء-عليهم السلام-، بأن آمن بالله تعالى، و ملائكته، و كتبه و رسله، باليوم الآخر، و بأن يأتي بأركان الإسلام. فالمسلمون على اعتبار التزامهم بالشرع ينقسم إلى القسمين و هما المقبولون و المقصرون، استناداً إلى هذا التقسيم، قسّم الشيخ محمد الصادق-رحمه الله- الأساليب التي استخدمها في دعوة المسلمين إلى ثلاث المطالب، وهي:

أساليب معالم العامة منها:

الحث على التمسك بالكتاب والسنة

من معالم دعوة المسلمين أوضاعها الشيخ محمد صادق-رحمه الله- الدعوة إلى الأقوال والأفعال بميزان الكتاب والسنة، حيث أكد على أعمال العقل بتمييز الأقوال وعرضها على محك الشرح، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَ لَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ سورة طه، الآية: 58

فقال: "فانظر هذا الكلام الذي زوقه وصنعه، فأوقف به قومه عن السعادة، واستمر يقودهم بأمثاله، حتى أوردتهم البحر فارقه، ثم في غمرات النار احرقهم، فعلى الكيس الفطن اي ينقد الأقوال والأفعال والخواطر والأحوال ويعوضها على محك الشرع: الكتاب والسنة فما وافق

10 محمد صادقي، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، ج 9، ص 44

11 انظر: كتاب: تكملة معجم المؤلفين، وفيات، محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، (٤٧٦/١)، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1418 هـ - 1997 م

12 انظر: محمد صادقي، مقدمة الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، ج 1، ص 7

13 محمد صادقي، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، ج 4، ص 386



لزمه ما لا تركه"14، فهنا أن الشيخ محمد صادق -رحمه الله- كان يدعو إلى تمييز الأقوال والأفعال وعرضها على محك الشرع، الكتاب والسنة، وعدم الانجرار وراء الأفكار دون التفكير النقدي والتأمل العميق فيها.

من معالم دعوة المسلمين بيان أثر العبادات على النفس تزكية وتهذيباً:

من معالم دعوة المسلمين أن الشيخ -رحمه الله- ركز على أهمية العبادات والذكر في تزكية النفس وتقريبها من الله، وقد حث المسلمين على الاجتهاد في العبادة والتسبيح، مشيراً إلى أن الذكر هو الوسيلة التي ترفع الإنسان إلى مقام كريم، وأنه لا يمكن للإنسان أن يصعد إلى هذا المقام إلا من خلال ذكر الله، وأنه يحرص على تنمية و عمق فهمه لشرعية الله، وذلك بإبراز مقاصد العبادة و حكمها، كما في مقام بيان أثر العبادات سعى الشيخ محمد صادق-رحمه الله- إلى التأكيد على أهمية الذكر، حيث يقرب الإنسان من ربه ويرفعه إلى مقام كريم، مستنداً إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (سورة الأنبياء: 19)

في بيان أثر الدعاء والعبادات على النفس تزكية:

في مقام بيان أثر العبادات، سعى الشيخ محمد صادق -رحمه الله- إلى التأكيد على أهمية الذكر؛ لأنه الوسيلة التي تقرب الإنسان من ربه وترفعه إلى مقام كريم. واستمد ذلك من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (سورة طه، الآية: 124) وقال: (ذكرى) و كما الذكر درجات كذلك الاعراض عن الذكر درجات تجمعها ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ و (ذكرى) بين آفاقي و أنفسي، و من أفضل الأول القرآن و رسول القرآن و يتلوه من يتلوه، و الثاني فطري و عقلي، و كل ذلك من مصاديق (ذكرى) على اختلاف درجاتها. ثم ان الذكر الذي يثمر حفظ التوازن هو ما كان باللسان و القلب، فالمقبل على الذكر بكلمته فهو قانع راض بما هو فيه مستكثر من ذكر الله الشارح للصدر الجالي للقلوب فهو أوسع سعة"15

في هذه العبارة، يتم بيان أثر الدعاء والعبادات على تزكية النفس من خلال التأكيد على أهمية الذكر والاجتهاد في العبادة. يشير الشيخ محمد صادق -رحمه الله- إلى أن الذكر هو الوسيلة التي تقرب الإنسان من ربه وترفعه إلى مقام كريم، وهذا مستمد من الآية القرآنية التي ذكرها. وبالتالي، فإن الاهتمام بالذكر والعبادات يُنمي الوعي الروحي والتقوى، ويساهم في تطهير النفس وتحسينها، مما يعكس على تزكيته وتحقيق الرضا النفسي والروحي.

يظهر في هذا الموضوع جانب مهم من دعوة المسلمين للشيخ صادق-رحمه الله- وهو اهتمامه بتربية المسلمين على الطاعة لله وذكره وشكره، والانقياد إليه وحده، بما في ذلك تأثير العبادات على تزكية النفس وتهذيبها.

من معالم دعوة المسلمين بيان أسباب الانحراف:

سوء التصورات عن طبيعته الدنيا: من أسباب الانحراف سوء والتصورات لطبيعة الدنيا، لذا بين الشيخ محمد صادق -رحمه الله- في هذا الموضوع ضرورة تصحيح تصورات المدعو المسلم عن حقيقة الدنيا وذلك عند قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ فقال: ﴿فأولئك﴾ اي: البعداء عن الخير، (هم) اي: خاصة (الخاسرون) يعني: العريقون في الخسارة، حتى كأنهم كانوا مختصين بها دون الناس، وذلك ضد ما أرادوا بتوفير النظر المهم، والإقبال عليهم من السعي للتكثير والزيادة والتوفير، وفي افهامه ان من شغله ما يهيمه من امر دينه، الذي امر الله -سبحانه وتعالى- به ونهاه عنه إضاعته وتوعده عليها كفاه -سبحانه وتعالى- امر دنياه، الذي ضمنه له ونهاه ان يجعله أكبر همه، وتوعده على ذلك، فما ذكره إلا من وجده في جميع أموره دينا ودنيا، وتوجه إليه في جميع نوائبه وأقبل عليه بكل همومه وبذل نفسه له بذل من يعلم انه مملوك مريبوب، فقدم امر ربه على نفسه واتخذ وكيلاً فاستراح من المخاوف"16 إن هذا الأسلوب يدل على عناية الشيخ محمد صادق-رحمه الله- بالتحذير من انحراف المدعو ومقتننا بالدنيا سالكا في ذلك سبيل البيان الحقيقه الدنيا وموقف العبد الصالح منها:

تصحيح ومفاهيم تجاه الدنيا :

وأن الشيخ محمد صادق-رحمه الله- ذو عناية ببيان حقيقة الدنيا وكيف ينظر المرء اليها وكيف يتعامل معها وفي هذا الموضوع نرى ان الشيخ محمد صادق -رحمه الله- يبين للمدعو المسلم كيفية التعامل معها وذلك بأن يسعى لتحصيلها بجوارحه لا بقلبه، وأن يسعى لتنميتها بالإتفاق منها، لا بامسآكها كما قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الروم: 37)، قال: ولما افهم ذلك عدم الاكثراث بالدنيا لأن الكثرآث بها لا يزيدآها، والتهآون بها لا ينقصآها فصار ذلك لا يفيد الا تعجيل النكد بالكد والنصب،

14 محمد صادق، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة (14/ 28)

15 محمد صادق، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة (10/ 122)

16 المرجع السابق (11/ 322)



وكان مما تقدم ان السيئة من اسباب المحق، سبب عنه الإقبال على إنفاقها في حقوقها، إعراضا عنها، وإيدانا بإهانتها، وابقانا بان ذلك واستيفائها واستثمارها واستنماؤها، فقال-خاصا بالخطاب اعظم المتأهلين لتنفيذ أوامره، لأن ذلك أوقع في نفوس الأتباع، واجدر بحسن القبول منهم والسماع، (فأت) يا خير الخلق (ذو القربى حقه) بادنا به، لأنه أحق الناس بالبر، صله للرحم وجودا وكرما"17

الدعوة إلى محاسن الاخلاق: تعتبر محاسن الأخلاق أساساً لبناء مجتمعات صالحة ومزدهرة، حيث تؤدي هذه القيم إلى تعزيز العلاقات الإيجابية بين الأفراد وتعزيز السلام والتفاهم بين الشعوب. إن دعوة إلى محاسن الأخلاق تشكل جزءاً لا يتجزأ من العديد من الأديان والفلسفات والمبادئ الأخلاقية التي تحث على العمل الصالح والسلوك الحسن تجاه الآخرين.

من معالم دعوة المسلمين هو الدعوة لمحاسن الأخلاق: وهذا من بين سمات دعوتهم فالشيخ محمد صادق -رحمه الله- عرّج على محاسن الأخلاق كجزء من تعليم دين المسلمين، حيث أوضح خصائص الأخلاق، مستمداً ذلك من الآية القرآنية: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِبِينَ الْعَيْطِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة العمران: 134) حيث تعكس التقوى تعزيز مشاعر الرحمة والإحسان في الإنسان، فلا يحتفظ صاحبها بالخير لنفسه فقط، بل يتجاوز ذلك لصالح الآخرين أيضاً. ومن أنقى الله، فهو رحيم بالناس وصبور على إساءتهم، مُسامح ويعفو، ولا ينتقم منهم. هناك قصة مشهورة تروي عن علي بن أبي طالب -عليه السلام- تجسد هذه القيم، حيث تعرضت جاريته لواقعة صغيرة، لكنها استجابت بالتسامح والعفو، فكانت تلك مظهراً من مظاهر الإحسان والتسامح التي يحبها الله.18

معالم تختص بالمدعو المقبل

أولاً: التوكل الله عليه فقط ومجاهدة النفس

تتعلق بترقية المدعو في درجات الخير. دعا الشيخ محمد-رحمه الله- إلى رفع المدعو في مستويات الخير في عدة نقاط، منها: التوكل الله عليه فقط: حيث حث الشيخ صادق-رحمه الله- على تحرير القلب من الأسباب الدنيوية والانتقال إلى التعلق بالله الواحد، والإعتماد عليه وحده، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (سورة الطلاق:، الآية: 3) وقال: "و إنما الله يطمئن المتقين أنهم لا ينقصهم ما قدر لهم بالتقوى، التي تحول بينهم وبين شيء من الرزق المحتسب، فان الله يبدلهم بغير المحتسب، وفيما إذا اقتضت التقوى ترك الطلب، فحشرت الأوقات كلها في سبيل التقوى الواجبة، كالجهاد، و طلب العلم، و الدعوة إلى الله، فهنا لك يكون الرزق كله من حيث لا يحتسب، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ بَعْدَ مَا اسْتَعَانَ بِالْمُسْتَطَاعِ دُونَ بَتْلٍ وَلَا فَشْلٍ﴾ (فَهُوَ حَسْبُهُ) عما سواه من الأسباب، فإنه مسببها و مالك أمرها ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾"19

باختصار، أن الشيخ محمد الصادق-رحمه الله- أوضح لمدعو المقبل أن التوكل على الله -سبحانه وتعالى- لا يعني التخاذل أو ترك العمل، بل يعني تحرير القلب من التعلق بالأسباب الدنيوية والتوجه الكامل إلى الله -سبحانه وتعالى- مع بذل الجهد المستطاع، لأن الله -سبحانه وتعالى- هو المسبب الحقيقي لكل الأمور والقادر على تيسير الرزق من حيث لا يحتسب الإنسان.

مجاهدة النفس: حيث يعد المدعو المجاهد في سبيل الترتي بالدرجات يجاهد نفسه الطاغية، ويسعى لكبح الشهوات وتجنب المحرمات، استناداً إلى قوله تعالى "وجاهدوا في الله حق جهاده"20

ثانياً: تقوية الجانب النفسي للمدعو المقبل:

من معالم الدعوة المسلمين المدعو المقبل من المقتصدين والسابقين بالخيرات، تقوية الجانب النفسي للمدعو المقبل، سواء بالتسليية او التآسي او التانيس او التبشير او التثبيت كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة العمران 139)، وقد سعى الشيخ محمد-رحمه الله- إلى تقوية الجانب النفسي للمدعو المقبل بالتسليية والتبشير والتثبيت وغرس التفاؤل وتأتي الحاجة إلى العناية حينما تعترض الطريق المدعو جملة من العقوبات، منها أنه تدركهم سنة الابتلاء قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (سورة البقرة: 214) ومن الشواهد على ذلك:

17 محمد صادق، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، (6/ 231)

18 المرجع السابق (5/ 231)

19 محمد صادق، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة (5/ 90)

20 المرجع السابق: (5/ 245)



غرس التفاؤل والاستبشار: دأب الشيخ محمد صادق -رحمه الله- في خطابه للمدعو المقبل على غرس التفاؤل والاستبشار ومن شواهد ذلك، ما استنبطه من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (سورة النساء، الآية: 86). فقال في تفسيره: "فقال معبراً بأداة، التحقيق بشارة لهم بأنهم يصبون - بعدما هم فيه الأن من النكد- في حكم المملوك يحبون يحيونه ويشفع عندهم حثاً على التواضع ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ أي تحية اذا كانت مشروعه" 21
هنا يوضح أن الرد بأحسن منها هو نوع من البشارة للناس بأنهم سيتغلبون على مصاعبهم ويعيشون في سعادة. كما يبرز أن رد التحية بأفضل منها يعكس التواضع والمحبة بين الناس.

توظيف القصص في تقوية نفسه المقبل: دعا الشيخ محمد صادق -رحمه الله- المدعو المقبل إلى علو الهمة وقوة العزيمة والثبات على دين الله تعالى، وذلك بإبراز نموذج من الثابتين على دين الله من الأمم السابقة وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَايُنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلْ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (سورة العمران: 86) فقال في تفسيره: ولا ريب أن في مدح من سواهم تهبيجا زائداً لإنبعاث نفوسهم وتحرك همهم، وتنبيه نشاطهم، وتوران عزائمهم غيرة منهم أن يكون أحد - وهم خير أمة أخرجت للناس - أعلى همة وأقوى عزيمة واشد شكيمة واصلب عوداً وأثبت عموداً، وأذكر الله، وأرغب فيما عنده وأزهد فيما اعرض عنه منهم" 22
هذه العبارة تشير إلى أن الشيخ محمد الصادق -رحمه الله- كان يحث المدعويين إلى دين الله على التحلي بالهمة العالية والعزيمة القوية والثبات في إيمانهم. كان يقوم بذلك من خلال تقديم نماذج من الثابتين على دين الله من الأمم السابقة. وعند تفسيره الآية الكريمة، أشار إلى أن الغناء على الآخرين الذين ثبتوا على دينهم يمكن أن يكون دافعاً إضافياً لتحفيز المؤمنين على التحلي بالهمة والعزيمة والنشاط في اتباع الدين، خاصة أن هذه الأمة -أمة محمد صلى الله عليه وسلم- هي خير أمة أخرجت للناس، وبالتالي يجب أن يكونوا أكثر همة وعزيمة وثباتاً من غيرهم. ومن معالم دعوه المدعو المقبل الرفق واللطف به عند تقصيره

اولاً: الترفق بالمقبل النادم: يقرر الشيخ محمد صادق -رحمه الله- معلماً مهماً في دعوة النادم والمقبل من المسلمين، والذي يتمثل الرفق بهم وتأنيبهم وجبر خواطرهم مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا، إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة توبة: 118) فقال في تفسيره: "ولما صرح بالتوبة على من قارب الزنغ وخطط معهم أهل الثبات، إشارة إلى أن كل أحد فقير إلى الغني الكبير وليكون اقتراهم باهل المعالي وجعلهم في حيزهم تشريفاً لهم وتأنيباً لئلا يشدد إنكارهم، أتبعوا التوبة على من وقع منه الزنغ فقال غير مصرح بالزنغ تعليماً للأدب وجبراً للخواطر المنكسرة" 23، أن الشيخ محمد صادق -رحمه الله- يسعى لتعليم الدعاة كيفية الترفق بالناس، خصوصاً أولئك الذين يعودون إلى الله نادمين، وحثهم على جبر خواطرهم وتشجيعهم على الثبات في إيمانهم بدلاً من إبعادهم أو إخراجهم.

ثانياً: دعوه المسلم المقبل باللطف: أورد الشيخ محمد الصادق -رحمه الله- من أساليب دعوة المسلم المقبل وذلك باللطف ومراعاة قدرهم فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيْقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (سورة العمران: 100) فقال: "ولما تم إيدانه بالسخط على أعدائه وأبلغ في انذارهم عظيم انتقامه -ان داموا على اضلالهم- أقبل بالبشر على أحبائه مواجهاً لهم بالذيد خطابه وصفي غنائه محذراً لهم الاغترار بالمظلمين ومنهياً ومرشداً ومذكراً ودالاً على ما ختم به ما قبلها، من احاطة علمه بدقيق مكر اليهود" 24

أشار الشيخ محمد صادق -رحمه الله- في هذه العبارة إلى أهمية الدعوة إلى الله بأسلوب لطيف ورفيق مع المسلمين المقبلين، مع مراعاة أحوالهم وظروفهم. وهو يستند في تفسيره إلى الآية الكريمة من سورة آل عمران، حيث يخاطب الله المؤمنين محذراً إياهم من الانصياع لفريق من أهل الكتاب الذين قد يحاولون إبعادهم عن إيمانهم.

21 محمد صادق، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة (5/ 341)

22 المرجع السابق، (5/ 325)

23 المرجع السابق، (9/ 321)

24 محمد صادق، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة (7/ 239)



اسلوب الترغيب الى التوبة:

من معالم دعوة المدعو المقصر التي حث الشيخ محمد صادق -رحمه الله- المدعو المقصر عليها دعوته إلى التوبة ببيان أهميتها، واستفاد ذلك من وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (سورة البقرة: 222)

﴿التوابين﴾ هم الدائبون في التوبة إلى الله، و﴿المتطهرين﴾ هم الذين يتطلبون طهارة الجسم إلى طهارة الروح و القلب و كما يروى عن رسول -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له" 25، أن الشيخ محمد صادق -رحمه الله- يبرز في هذه العبارة أهمية دعوة المسلمين الذين قد يكونون مقصرين في طاعتهم لله إلى التوبة، مشيراً إلى أن التوبة ليست فقط وسيلة للتطهير من الذنوب، بل هي أيضاً فعل يحبه الله ويكافئ عليه. و يؤكد على أن دعوة المقصرين إلى التوبة هي جزء أساسي من الدعوة إلى الله. التوبة ليست فقط طريقة للتخلص من الذنوب، بل هي فعل محبب إلى الله ويستحق المدعو أن يُذكر به. من خلال التوبة، يمكن للإنسان أن ينال طهارة الجسم والروح، ويستعيد علاقته القوية مع الله.

و في مقام آخر حث الشيخ محمد الصادق -رحمه الله- أن من معالم دعوة المدعو المقصر، دعوته للتوبة، بيان أهميتها في الآخرة، حيث بين أن سبب خلود الكافر في النار عزمه على إدامه الكفر وأن سبب انقطاع عذاب الفاسق المؤمن نيته التوبة، واستفاد ذلك من قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَ مَنْ عَمِلْ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (سورة غافر: 40) وقال: "و من عدل الله تعالى يوم الحساب ﴿مَنْ عَمِلْ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ فإنها هي بملكوتهما دون زيادة أو نقصان، اللهم إلا بتوبة أو شفاعة أمأهيه، و قضية المماثلة بين السيئة و جزائها أنه محدود كما هي فهو متناه كما هي متناهية، (و مَنْ عَمِلْ صَالِحاً) أي كان (مَنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى) دون فارق بينهما إلا بصالح العمل، (و هُوَ مُؤْمِنٌ) حيث الإيمان ركن لصالح العمل فهو دونه حابط (و مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ) وإذا كان جزاء السيئة بحساب فثواب الحسنة بغير حساب" ثم قال: (إِلَّا مِثْلَهَا) عدلاً لا يزداد عليها مقدار ذرة ولا أصغر منها ويدخل النار إن لم يكن له ما يكفرها، فهذا هو الملك الذي ينبغي الإقبال على خدمته لكونه الحكم العدل القادر على الجزاء والمساوات في الجزاء، فالكافر كما كان على عزم إدامه الكفر كان عذابه دائماً والفاسق لما كان على نيته التوبة الاعتقاده أنه في معصية وشر كان عذابه منقطعاً²⁶ هنا أن الشيخ محمد صادق -رحمه الله- أوضح أهمية دعوة المقصرين إلى التوبة، ليس فقط لأجل تحسين حياتهم في الدنيا، بل لضمان سلامتهم في الآخرة. التوبة والإيمان هما مفتاحا النجاة من العذاب الأبدي، والتوبة الصادقة يمكن أن تنقذ المسلم من العقاب وتفتح له أبواب الرحمة والمغفرة. أسلوب الرجز بالإعراض: من أساليب الرجز الإنتقال في الخطاب من أسلوب الإقبال إلى مقام الإعراض، وقد بين الشيخ محمد الصادق -رحمه الله- طريقة القرآن الكريم في استخدام أسلوب الإعراض مع المدعو المسلم المخالف، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَبِّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (سورة التوبة، الآية: 40) وقال: "ولما كانت الأنفس مختلفة الهمة، متباينة السجايا والشيم، كان هذا غير كاف في التهديد لكلها، فأتبعته تهديداً أشد منه بالنسبة إلى تلك النفوس فقال منتقلاً من أسلوب الإقبال إلى مقام الإعراض، المؤذن بزواج الغضب (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ) أي: يا أعظم الخلق شفقة ورفقا ونصيحة، لمن لم يرغب ما تقدم من الزواج أنه يجب تحمل جميع هذه المضار في الدنيا ليبقى الدين سالماً ولا ينثلم²⁷

في هذه العبارة، يوضح الشيخ محمد الصادق -رحمه الله- أسلوباً خاصاً في القرآن الكريم يُعرف بـ "أسلوب الإعراض". يُستخدم هذا الأسلوب عندما يخاطب القرآن الكريم شخصاً أو مجموعة معينة ممن يظهرون نوعاً من المخالفة أو الانحراف عن الدعوة الدينية. و العبارة تشير إلى كيفية استخدام القرآن لأساليب متنوعة في الخطاب لتوجيه المسلمين، حيث يبدأ بالترغيب والود (الإقبال)، وإن لم يُجدِ نفعاً، ينتقل إلى أسلوب أكثر حدة وتحذيراً (الإعراض)، وذلك لتحقيق الهدف الأكبر وهو الحفاظ على الدين وسلامته.

25 سنن ابن ماجه: رواه ابن ماجه في سننه حديث رقم (4250)

26 الفرقان في تفسير القرآن والسنة، الشيخ محمد الصادق، (25/ 448)

27 المرجع السابق، (84/11)



استخدام أسلوب التهيب:

يصف الشيخ محمد صادقي -رحمه الله- نفس المدعو المخالف بأنها نزاعة للهوى مما يجعلها محتاجة إلى مزيد تخويف وشديد تهويل كما في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ، هَذَا وَ إِنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ (سورة ص: 55)، فقال في تفسيره "ان (لَشَرَّ مَآبٍ) و هو أسوءه، و (يصلونها) و هو إيقاد النار، إنهما يشهدان أن (الطاغين) هنا هم رؤوس الطغيان" ثم قال: (هذا) أي: الأمر العظيم، الذي هو جدير بأن يجعل نصب العين، وهو أنه لكل من الفريقين ما ذكره -وإن أنكره الكفر- وحذف الخبر بعد إثباته في الأول أهول ليذهب الوهم فيه كل مذهب (وَ إِنَّ لِلطَّاعِينَ) أي: الذين لم يصبروا على تنزيلهم انفسهم في منازلها بالصبر على ما مروا به ، فرفعوا انفسهم فوق قدرها، وتجاوزوا الحد وعلو في الكفر به ، واسرفوا في المعاصي والعظم والظلم ويجبروا ، وتكبروا ، فكانوا احق الناس (لَشَرَّ مَآبٍ)"²⁸

طريقة دعوة المدعو المنافق

أن الشيخ محمد الصادقي -رحمه الله- تناول في تفسيره طريقة المدعو المنافق، من جوانب متعددة منها: فهو حيناً يبين سبب النفاق كي يجتنب، وتارة يبين أسلوب التهيب من النفاق، ومن الشواهد على ذلك منها:

أن المدعو المنافق هو يعد من أصناف الدعوة صعوبة في دعوته، لأن المنافقون هم من يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر. لذا، يُعتبر التعامل معهم صعباً لأنهم ليسوا صادقين في تعاملهم، وقلوبهم مليئة بالنفاق والانحراف عن الحق. النفاق مبني على أساس من الأخلاق الرديئة والردائل، مما يجعل هدايتهم أمراً معقداً. على الرغم من أن المنافقين يُعتبرون من أصعب الفئات في الدعوة بسبب فساد فطرتهم وأخلاقهم السيئة، إلا أن الله أمر نبيه -صلى الله عليه وآله وسلم- بمخاطبتهم بأسلوب بليغ ومؤثر، بهدف إيقاظ ضمائرهم ودعوتهم للعودة إلى الحق كما قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (سورة النساء: 63) هذا يُظهر مدى شمولية الدعوة الإسلامية وحرصها على هداية الجميع، مهما كانت صعوبة التحديات

أسلوب التعريض هو أحد الأساليب البلاغية التي تستخدم في الدعوة، خاصة عند مخاطبة المنافقين. يتميز هذا الأسلوب بقدرته على إيصال الرسالة بطريقة غير مباشرة، مما يجعله مناسباً في بعض الحالات التي قد لا يكون التصريح فيها ملائماً.

من أساليب دعوة المنافقين أسلوب التعريض من الأسلوب الناجحة متى ما جاء في موضعه، إذ ان التصريح يناسب في أحوال و لايناسب في أخرى ، و قد أبان الشيخ محمد صادقي -رحمه الله- عن طريقة القرآن الكريم بدعوة المنافق بأسلوب التعريض، كما قال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة التوبة: 88)، فقال: "و لما كان السياق لبخلهم بالنفوس و المال و لسلب النفع من الأموالهم و أولادهم، إقتصر في مدح أوليائه على الجهاد بالنفوس و المال، (لَهُمْ) أي: لا لغيرهم، (الْخَيْرَاتُ) تعرض بذوي الأموال من المنافقين، لأن الخير يطلق على المال و تحلية، و كذا التعريض بهم بقوله: (وَأُولَئِكَ هُمُ) أي: خاصة (الْمُفْلِحُونَ) أي الفائزون بجميع مرادهم لا غيرهم"²⁹

في تفسيره للآية الكريمة، أوضح الشيخ محمد صادقي -رحمه الله- كيف يستخدم القرآن الكريم أسلوب التعريض عند دعوة المنافقين. في هذه الآية، يمدح الله تعالى الرسول -صلى الله عليه وسلم- والذين آمنوا معه بأنهم جاهدوا بأموالهم وأنفسهم، وأشار إليهم بأنهم الفائزون الحقيقيون (الْمُفْلِحُونَ). و أيضاً أن الشيخ هنا بين أن ذكر الجهاد بالنفوس و المال بشكل محدد يعرض للمنافقين الذين كانوا يبخلون بالنفوس و المال، وأنهم لا ينالون الخيرات التي تنالها المؤمنون الذين جاهدوا. وعند قوله "لهم الخيرات" يتعرض للمنافقين بأن الخير لا يخصهم لأنهم لم يبذلوا شيئاً في سبيل الله، وباستخدام هذا الأسلوب، يمكن للمدعو أن يفهم المقصود بطريقة غير مباشرة، مما قد يؤدي إلى تأثير أكبر في النفس وتفادي ردود الأفعال السلبية التي قد تصاحب التصريح المباشر.

أسلوب التهيب: من أساليب دعوة المدعو المنافق "الأسلوب التهيب" وخاصة من مصيرهم في الآخرة، حيث أن الشيخ يوضح في تفسيره أن الله يكشف للمؤمنين عن شدة العذاب الذي سيلقاه المنافقون في الآخرة، وأنهم سيكونون في "الدرك الأسفل من النار"، أي في أسفل طبقات جهنم، وهي أبشع وأخبث مستويات العذاب. وذلك مستمداً من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (سورة النساء: 145)، فقال في تفسيره: "أن الله سبحانه وتعالى يُبين للمؤمنين مدى فظاعة العذاب الذي سيعاني منه المنافقون في الآخرة. سيتم

28 محمد صادقي، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة (25/ 369)

29 محمد صادقي، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة: (10/ 176)



إلقاؤهم في أعماق وأشد طبقات جهنم، وهي أكثرها شناعة وقسوة. هذا المكان هو ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ والذي يُعتبر أخبث وأدنى مستوى في جهنم أي البطن والمنزل الأسفل من النار "30 هذا الأسلوب ظهر في مواضع عديدة منها:

الترهيب بإحاطة علة الله بحالهم: أن الشيخ محمد صادق- رحمه الله- أبان عن أسلوب دعوة المنافق وهو الترهيب بعلم اللخ تعالى بحالهم، منا في وله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ (سورة التوبة: 126)، وقال: "أي إن كان الناس أخصب ما يكونون و أرفعه عيشاً (مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) فيفصحون بذلك، و ذلك موجب للتوبة للعلم بأن من علم سرائرهم (التي هم مجتهدون في إحفاؤها) عالم بكل شيء قادر على كل مقدور فهو جدير بأن تمتثل أوامره و تخشى زواجه"31 من خلال تتبع واستقراء الجزئيات المتعلقة بالقضايا الدعوية التي تخص المنافقين، والتي ذكرها الدكتور عبد الكريم الخطيب رحمه الله في تفسيره "التفسير القرآني للقرآن"، يتضح ما يلي:

أولاً: أن الشيخ محمد صادق- رحمه الله- أوضح أسباب النفاق بهدف الوصول إلى أصل المشكلة لمعالجة الانحرافات من جذورها. من أبرز هذه الأسباب هو وقوع المنافق في أسر الفكر المادي، الذي يؤمن فقط بما هو ملموس وينكر الغيب، مما يؤدي إلى التعلق بالدنيا والعمل من أجلها. ثانياً: أوضح الشيخ أن صفات المنافقين المذمومة تهدف لتفريغهم منها، ومن أبرز هذه الصفات: ضعف العقل، البخل بالنفس والمال، الحرص الشديد على الدنيا، والجهل. ومن أساليب دعوتهم، استخدام "الترهيب" بتحذيرهم من علم الله بحالهم ومصيرهم في يوم القيامة. إنذار المشركين بعقاب شديد:

حذر الشيخ محمد الصادق- رحمه الله- المدعو المشرك من عاقبة شركهم بعقاب شديد في يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَ مَنْ يَكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة القلم: 44)، فقال: "و عذاب الاستدراج يعم المكذبين بآيات الله: ﴿و الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الاعراف، الآية: 182)، "و استنزالا لهم إلى أسفل سافلين شيئا فشيئا بما ينعم عليهم مرة بعد أخرى و هم يزدادون عتوا و نفورا، يحسبونهم على حق و انهم يحسنون صنعا، و إلا فلما ذا تواتر النعم عليهم و توترها على المسلمين، و هذا هو عذاب الاستدراج"32

وأوضح الشيخ محمد الصادق- رحمه الله- هنا، أن هذه الآية تحمل إنذاراً للمشركين بعذاب أليم ينتظرهم في يوم القيامة، ذلك اليوم الذي سينكشف فيه الغطاء عن حقائق كانت محجوبة عنهم بسبب عنادهم وضلالهم. عندها، سيدركون أنهم كانوا في عمى وضلال تام، وأن الفرصة لتدارك ما فاتهم قد ضاعت إلى الأبد.

الترهيب بإحاطة الله تعالى:

يعني الخوف الناتج عن علم الله الشامل بكل شيء، في النص، ذكر أن الشيخ محمد الصادق- رحمه الله- حذر المشركين بتذكيرهم بأن الله تعالى يعلم تماماً ضلالهم وكفرهم، وهذا مستند إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (سورة سبا، الآية: 35)، وقال: "ما يخبونه من الكذب والتكذيب، و من التدجيل و التدجيل، في أوعية الضلالة: من أنفسهم الشاردة، و قلوبهم الماردة، و من شياطينهم المردة، و أجوائهم المظلمة، و أقوالهم اللثيمة، و أفعالهم المنافقة، فهم يعيشون وعي الكفر و إيعائه ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾. فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) ليست لهم بشارة إلا الإنذار، فبشارتهم هي الإنذار، فالعذاب الأليم"33

أن الشيخ محمد الصادق- رحمه الله- ركز على أن المشركين، بسبب ضلالهم وكفرهم، معرضون لتهديد مباشر من الله. النص يستند هذه الآية الكريمة، ليؤكد أن ما يظنه المشركون سراً، لا يخفى على الله، وأن عاقبتهم ستكون عذاباً أليماً. الخلاصة:

وبعد، فمن خلال التتبع للجزئيات المتعلقة بالقضايا الدعوية الخاصة بالمدعو يتبين أن الشيخ محمد الصادق- رحمه الله- قسّم المسلمين إلى فئتين رئيسيتين: المقبلين على الطاعة، والمقصرين فيها، وحدد لكل فئة أساليب دعوية تناسب حالها وطبيعتها. ومن خلال ما أورده في تفسيره تتضح المعالم الآتية: فقد دعا إلى الحث على التمسك بالكتاب والسنة، والالتزام بالأقوال والأفعال وفق ميزان القرآن الكريم والسنة المطهرة،

30 المرجع السابق، (8/344)

31 المرجع السابق (9/544)

32 محمد صادق، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، (29/75)

33 المرجع السابق، (30/253)



مع تنمية روح الوعي والتحليل في ضوء الضوابط الشرعية. كما بيّن أثر العبادات والذكر في تزكية النفس وتطهيرها وتقريبها من الله تعالى، مؤكداً أن العبادة ليست شكلاً ظاهرياً فحسب، بل هي عملية بناءٍ روحي وأخلاقي متكاملة. وتناول كذلك أسباب الانحراف، فصّح المفاهيم الخاطئة عن الدنيا، ووضّح حقيقتها في ضوء القرآن، مبيّناً أن الخلل في التصوّر يقود إلى الخلل في السلوك. كما ركّز على الدعوة إلى محاسن الأخلاق، وجعلها الأساس المتين لبناء مجتمع صالح متماسك. أما في أساليب دعوة المقبلين والمقصّرين، فقد أكّد على التوكّل على الله مع الأخذ بالأسباب، وتحرير القلب من التعلّق بالماديات، وحثّ على مجاهدة النفس وكبح الشهوات والابتعاد عن المحرّمات. كما أولى الجانب النفسي عناية خاصة، فدعا إلى تقوية المدعو بالتبشير والتثبيت وغرس روح التفاؤل، واستثمر القصص القرآني في تحفيز الهمم وتعزيز الثبات، مع التأكيد على الرفق واللطف، خصوصاً مع التائبين والراجعين، مراعيًا مشاعرهم ومكانتهم. ومن خلال ذلك تتجلى الأسس الدعوية التي اعتمدها في التعامل مع المدعو في كتابه، حيث جمع بين التأصيل العلمي، والبناء الإيماني، والرعاية النفسية والاجتماعية، ليقدّم نموذجاً دعويّاً متوازناً يراعي اختلاف الأحوال ويهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع معاً.